بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

« الدعوة الإسلامية دعوة عالمية »

هناك تحولات ضخمة في حياة البشرية ــ تنشد ما هو أفضل وأقوم بعد ما لاقت مِنْ ويلات وأزمات طاحنةٍ في حروب باردةٍ وساخنة خَلَّفت من ورائها أشلاء أمم ومومياء شعوب ـ وقد اقترنت هذه التحولات بما أُذيع وأُشيع عن الوفاق بين الكتلتين وإنهاء الحروب الباردة والساخنة.

وما إنْ بَدَا الأمل في غدٍ أفضل، وتَطَلَّع الناس إلى فجرٍ جديد تصان فيه الحقوق، حتى تَفَجَّرت المشاكل وتهيَّأت المطامع، وازداد خوف الإنسان من أخيه الإنسان. واستيقن الناس أن ما حسبوه ماءً لم يجدوه شيئا. وأن الوفاق بين الكتل لا يحمل في طيَّاته أملاً لغدٍ أفضل للأُمم المغلوبة والشعوب المطحونة.

فإذا كانت أقوات الجياع من قبل قد حُشِرت في بطون المدافع، وفي إعداد أسلحة الخراب الفاجع والدمار الشامل، فإن الذين تطلّعوا إلى الغد المنشود لم يلبثوا أن رأوا أن التخلّص من أسلحة الدمار الشامل يخضع لموازين الأقوياء من أصحاب المصالح الذين لا يرون للشعوب المطحونة شأنًا ولا يقيمون لمصالحها وزنًا.

كم أنفقوا في إعداد هذه الأسلحة ؟

وكم ينفقون في التخلص منها أو من نفاياتها ؟

وفي أي مكان يكون التخلص من هذه النفايات ؟

وكم شقي الإنسان ويشقى في الأحوال كلِّها ؟

لا شك أن كل ما وقع ويقع هو على حساب أقوات الأمم ومقدرات الشعوب. عناءٌ أيُّ عناء يلقاه الإنسان في ظل المنافسة على طلب عُلُوٍّ في الأرض تحكمه الغرائز وفسادٍ تقوده الأهواء والشهوات، وحضارةٍ حاكمةٍ لا ترى إلا الحسيةَ في المعرفة، والماديةَ في الوجود، والأَنَانِيةَ النفعيةَ في الأخلاق. حضارةٍ قد عدَّت العمل للدنيا مجرَّدًا عن الإيمان بالآخرة هو السبيل لرقي الإنسان وتقدمه، ولم تقم وزنًا لمعرفة الله وخشيته، فأفلت زمام المادة واختفت قيمة الإنسان وأهدرت حقوقه وكرامته.

غَدَا كلُّ شيء غاليًا في الحياة إلا الإنسان.

إنه أزهد شيءٍ وأرخص شيءٍ في مقدَّرات التنافس المسعور على المتاع والحطام. تراه في كثير من الأحوال وقودًا لحرب فاجرةٍ باردة أو ساخنة.

وترى سماسرة التكاثر لا يقيمون له وزنًا من أجل المكاسب التي تأتيهم من تجارة السلاح وبيع السلاح، ومخازن الكبار تفتح على مصراعيها لتبيع السلاح بالمليارات لشعوب تفقد الحد الأدنى من الأقوات والضرورات، وإذا نحن تأملنا ما يُسمَّى بالضمير العالمي ـ وهو يعالج قضايا البشر ـ من خلال منظمات أو مؤتمرات وجدناه لا ينظر إلى قضايا الأمم والشعوب من خلال التقدير والمعرفة لكرامة الإنسان.

ولقد بدا واضحًا أن المنظمات العالمية ـ مع ضرورتها ـ لم تستطع ـ مع سيطرة أصحاب السيطرة ـ أن تقيم في العالم سِلْمًا أو تحقق للناس أمنًا. فإن

السلم في حقيقته يرتبط بصفات النفس ونزاهة القصد وإقامة العدل، والأمن في جوهره يرتكن إلى الإيمان والقيم والأخلاق.

وما دام الأمن والسلم يرتبطان بصفات النفس ويتصلان بالقيم والأخلاق فلا بُدَّ من فرَارٍ وعود.

فرارٍ إلى من خَلَق النفس وهداها وأرسل من أجلها رسله وأنزل كتبه.

وعودٍ إلى اتباع أنبيائه ورسله.

وتلك هدايته وهذا جزاؤه ﴿ **قد جاءكم من الله نورٌ وكتاب مبين، يهدي به الله من اتبع رضوانه سبل السلام ويخرجهم من الظلمات إلى النور بإذنه ويهديهم إلى صراط مستقيم** ﴾ [المائدة : ١٥، ١٦].

«الدعوة الإسلامية دعوة عالمية»

دعاتها هم أنبياء الله جميعًا ورسلُه بلا تفرقَةٍ بينهم أو اختلاف ﴿ **لا نفرق بين أحدٍ من رسله** ﴾ [البقرة : ٢٨٥].

وكتابها المحفوظ بحفظ الله قد نُزّل على خاتم الأنبياء ليكون للعالمين نذيرا.

﴿ **تبارك الذي نَزَّل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيرًا** ﴾ [الفرقان : ١].

والرسول الخاتم ﷺ ما أرسله الله إلا رحمة للعالمين ﴿ **وما أرسلناك إلاَّ رحمةً للعالمين** ﴾ [الأنبياء : ١٠٧].

وهذا النداء للناس جميعًا في كل زمان ومكان. وعلى الاستجابة له يتوقف التراحم والاهتداء ﴿ **قل يا أيها الناس إني رسول الله إليكم جميعًا الذي له ملك السمٰوات والأرض لا إله إلا هو يحيي ويميت فآمنوا بالله ورسوله النبي الأمي الذي يؤمن بالله وكلماته واتبعوه لعلكم تهتدون** ﴾ [الأعراف : ١٥٨].

وعلى نور ما أنزل الله وَهَدَى يمكن أن تعالج القضايا، وأن تدرس المشاكل وأن يكون العلاج بما أرانا الله لا بما تمليه الأهواء.

على نور ما أنزل الله وحفظ يمكن أن نرى الأشياء على حقيقتها بلا زيف أو زيغ أو ضلال. وأن نعلم أن الأمن ما فقد إلا يوم أن تحطمت دعائمه من العدل والحق دون نظر إلى النتائج والعواقب، وأن السلم ما عَزَّ إلا عندما تعطَّلت أسبابه من التعارف والتعاون على البر والتقوى لا على الإثم والعدوان.

نحن جميعًا خلق الله وعباده وإليه مصيرنا ومآبنا. وأي علاج لقضايا الخلق دون تقديرٍ لأمر الخالق إن هو إلا تدميرٌ للإنسانية واستخفافٌ بمصيرها، وسقوط إلى وادٍ مظلمٍ سحيق ﴿**ومن يشرك بالله فكأنَّما خرَّ من السماء فتخطفه الطير أو تهوي به الريح في مكانٍ سحيق**﴾ [الحج: ٣١].

فلتتنادَ الإنسانية إلى ما دعا الله إليه ﴿. . **تعالوا إلى كلمة سواءٍ بيننا وبينكم ألا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئًا ولا يتخذ بعضنا بعضًا أربابًا من دون الله**﴾ [آل عمران: ٦٤]. إنها الدعوة العالمية التي ارتضاها الله للعالمين.

فلنتدبرها في كتابها العزيز الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد. وفي سنة الرسول الكريم الذي أرسله الله رحمةً للعالمين ﷺ.

هذا ما أردت بهذا الكتاب أن أنبه إلى حسن الاتجاه إليه، والاستجابة له، والأخذ به، مُوقِنًا أن سعادةَ الإنسانية في الدنيا والآخرة تتوقف عليه. ولا تكون إلا بما هدى الله ودعا إليه.

﴿**فإما يأتينكم مني هدى فمن اتبع هداي فلا يضل ولا يشقى ۞ ومن أعرض عن ذكري فإن له معيشةً ضنكا ونحشره يوم القيامة أعمى ۞ قال ربِّ لِمَ**

حشرتني أعمى وقد كنت بصيرا ۞ قال كذلك أتتك آياتنا فنسيتها وكذلك اليوم تُنسى ۞ وكذلك نجـزي من أسرف ولم يؤمن بآيـات ربّه ولعذاب الآخـرة أشد وأبقى﴾ [طه : ١٢٣ ـ ١٢٧].

وسلام على المرسلين، والحمد لله ربّ العالمين.

وصلى الله وسلم وبارك على نبيّنا محمد وعلى آلـه وصحبه وسلم.

محمد الراوي

الرياض : الإثنين ـ ١١ من جمادى الآخرة ١٤١٥هـ

١٤ من نوفمبر ١٩٩٤م

obeikandl.com

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة الطبعة الثالثة

منذ فترة مضت طبع هذا الكتاب طبعته الأولى عام ١٣٨١ هـ ، وفي عام ١٣٩٠ هـ كانت الطبعة الثانية . وقد أشرت في مقدمتها إلى الزمان والمكان الذي كتبت فيه .

ومع تغير المؤثرات والبواعث تبعا لتغير الظروف والأحوال لم أشأ أن أغير شيئا في جوهر هذا الكتاب أو أزيد عليه .

لأن الدعوة الإسلامية ليست أمرًا عارضا يزول بزوال أسبابه . أو شيئا باطلا يزهق بهلاك أهله .

إنها الحق . والحق أصل في حقيقة الحياة يمكث ويدوم . والباطل زبد وغثاء لا يلبث أن يزول ﴿ كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْحَقَّ وَٱلْبَاطِلَ فَأَمَّا ٱلزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَآءً وَأَمَّا مَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ فَيَمْكُثُ فِى ٱلأَرْضِ كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلأَمْثَالَ ﴾ [سورة الرعد : ١٧] .

ولم أر عصرًا من العصور اكتمل فيه الباعث على الحديث عن عالمية الدعوة الإسلامية كالعصر الذي نعيش فيه . وقد تحققت للإنسانية وسائل عالمية جعلت الناس يسمع بعضهم بعضا ويرى بعضهم بعضا كأنما يعيشون في بيت واحد ، ولم يعد الإنسان بما أُرِى من آيات في الأنفس والآفاق حبيس أرضه أو أسير قومه . بل غدا – بما تحقق له من وسائل – إنسانا عالميا يحتاج في جميع أمره إلى أسس عالمية للتعامل مع الأجناس المتنوعة والشعوب المتعددة والألوان والألسن المختلفة والأغراض والمصالح المتداخلة أو المتباينة .

والدعوة الإسلامية – وهي تنتسب إلى الحق وحده دون سواه – لها أعماقها في فطرة الخلق وحقائق الوجود . فليست دخيلة على فطرة الناس أو بعيدة عن شئون الخلق وهي ترشد إلى الغاية وتدعو إلى الاستقامة وتهدي للتي هي أقوم وتعنى بكل شأن فى كل زمان ومكان وتحفظ النفس من التردي في الباطل في قصد أو قول أو فعل وتُعلي من قيمة الإنسان حيث كان وهي تعلّمه أن الأشياء مع عظمها وكبرها خلقت من أجله وسخّرت له . وأنه خلق لعبادة ربه فلا يسجد لغيره ولا يذل لسواه وهي ذات معالم وحدود تقي الإنسان من ظلم نفسه أو ظلم غيره وهي بفرائضها ومعالمها وحدودها تزكي النفس وتنمي الروابط وتحفظ الحقوق وتصون القيم والأخلاق وتحدد للمجتمع البشري كله طريق أمنه وسلمه وتدعو إلى تعارفه وتحذر من تناكره .

وهي ليست لحاضر الإنسان فحسب بل لحاضره وماضيه ومستقبله . لدنياه وآخرته . في اتساق لا تناقض فيه ولا تعارض . تقدم عبرة الماضي وتُرِي سنن الله في واقع ، لينعم الحاضر بالتبصرة والذكرى . ويصان المستقبل بالنجاة والفوز ﴿ وَلْتَنظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ ﴾ [سورة الحشر : ١٨] ، والناس مفطورون عليها يُمالون عنها بالتكلف . ولكنها لا تبارح نفوسهم في استيقان وسنن ومصير ، ويعودون إليها في يسر وبلا حرج .

ومن تدبر حقائق الدين في فطرة الخلق أيقن بوجوده في مروءة ذي مروءة وإن كان كافرًا . وفي تعاونه في عمل خيرٍ وإن كان جاحدًا . وفي استيقان الناس جميعا بأنهم خاضعون لحقائق لا يفلتون منها ولا يتمردون عليها . وأقوى الأمور ثباتًا وبقاءً ما تستيقنه النفوس وإن جحدته في لغو من القول أو نزق من الهوى والكيد . وأشدها إعجازًا ما يكون العجز عن الإتيان بمثله – دون إرغام أو إكراه – من الخلق جميعا ﴿ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴾ [سورة الإسراء : ٨٨] . إن الدين في حقائقه شمس لا تغيب إن بارحت رءوس قوم أنارت عند آخرين . وله في كل شيء أثر . وفي كل غرس دلالة وثمر .

فإن عجز العالم الإسلامي في فترة ما أن يبرهن بسلوكه الجماعي على حقائق دينه والدعوة إليه . فلن يعجز الدين نفسه عن نشر حقائقه على العالم كلّه في فطرة هادية ومسلك راشد ممن يختارهم الله ويؤتيهم ما شاء من فضله ﴿ وَإِن تَتَوَلَّوْا يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوا أَمْثَالَكُم ﴾ [سورة محمد : ٣٨] .

ولكن لابد من النظر في واقع المسلمين أو المنتسبين إلى الإسلام عند الحديث عن الدعوة الإسلامية وأنها عالمية .

لأن مَنْ يُدْعى إلى دينٍ يُغْرِيه في أول الأمر أو يُثْنيه حالُ أهله . وواقع المسلمين المعاصر لم يكن في حقيقته نِتاج عمل بالإسلام أو استرشاد به – في كثير – وإنما هو واقع تضافرت عليه عواملُ هي أبعد ما تكون عن حقيقة الإسلام وما يدعو إليه سواء كانت من داخل المسلمين أم من خارجهم .

ولذا فإن أي دارس منصف عليه أن يُرْجع الأمور إلى أصولها وينسبها إلى مصدرها حتى لا يلتبس حق بباطل أو ينسب إلى الدين ما ليس منه .

والحمد لله أن حفظ الله كتابه وسنة نبيه . رحمة بخلقه وتبصرة لهم وهداية لما يجب أن يكون . وواقع المسلمين شهادة لدينهم لا عليه .

ذلك أنه يبرهن على أن هذا الدين يُعطي عطاءه لمن صَدَقَهُ وأن سنن الله لا تجامل ولا تحابي ، وأن جزاءه حق لمن أراد شيئا وعمل له سواء في أمر دنياه أو أُخراه .

﴿ مَن كَانَ يُرِيدُ الحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَالَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ ﴾ [سورة هود : ١٥] .

﴿ وَمَنْ أَرَادَ الآخِرَةَ وَسَعَى لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُوْلَئِكَ كَانَ سَعْيُهُم مَّشْكُورًا ﴾ [سورة الإسراء : ١٩] .

وبهذه المناسبة أود أن أقول كلمات فيما يُرجى من صحوة المسلمين ووجودهم في معترك الحياة كما يجب أن يكون :

أولا : قضية الصحوة القائمة في ديار المسلمين والتي كثر الكلام عنها ، أو وقع الترصد لها خوفا منها أو رغبة فيها .

في رأيي أنها ليست صحوة المسلمين وحدهم . بل هي صحوة في الضمير الإنساني كلّه . ويقظة لها دوافعها تظهر في صور وأشكال متعددة في كل قطر بما يناسبه .

فرفض الديكتاتورية في شتى صورها – كما يسمونها – صحوةٌ تنبيء عن أن الإنسان في كل مكان يأبى أن يُستَعْبد أو يُستَذل أو يهين أو يستكين لمن استبد به أو طغى عليه .

وإرشاد الصحوة يقتضي من دعاة الحق أن يكونوا راشدين لحقيقة تحرر الإنسان حتى لا يتخلص من أسر غيره ويُوسر بهوى نفسه .

ولابد من ضوابط تجعل الحرية مصونة بالقيام بالواجب وأداء الحقوق ، وهذا عمل من أعمال الدعوة العالمية وما ترشد إليه وأنها تحرير للإنسان حيث كان من العبودية لغير الله .

وهل تكون الضوابط سليمة بغير خضوع العباد لكلمة سواءٍ يُنادى الخلق جميعا إليها حتى لا يتخذ بعضُهم بعضًا أربابًا من دون الله !

﴿ قُلْ يَا أَهْلَ الكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ فَإِن تَوَلَّوْا فَقُولُوا ٱشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴾ [سورة آل عمران : ٦٤] .

بهذا تنجو « الصحوة » مما يُسمى بـ « التطرف » سواء في المغالاة والمجاهرة بالفساد أو ردّ الفعل المضاد .

ثانيا : لم أر كلمة ساء استعمالها وشاع فسادها كاستعمال هذه الكلمة دون ضوابط ، والحكم بها على ناس دون فهم لحقيقة « الوسط » الذي يُتَّبع والتطرف الذي يُجتنب .

والإسلام وسط كلُّه يجب أن يتبع وما خالفه غُلُوّ أو تفريط يجب أن يُجتنب . وعلى هذا الأصل يكون الحكم ويكون الحساب والجزاء . فمن تعد حدود الله وجاهر بالمعصية فهو متطرف يجب أن يُرَد وأن يُصد حتى يفيء إلى طاعة الله ويكف عن المجاهرة بمعصيته .

ومن غالى في طاعة يجب أن يُرد حتى يقف عند الحنيفية السمحة في اتباع واعتدال لا ابتداع فيه .

ولكن الحديث عن التطرف – في كثير – تطرَّف حتى صار في جانب دون جانب فأتاح للفساد أن يجاهر دون خشية من مُنْكِرٍ أو رادع . وغدا التطرف من نصيب من تمسك بالدين أو طلب العود إليه ولو كان متَّبعا غير مبتدع .

وفي ذلك ما فيه من مجافاة وبُعد عما يجب أن يكون .

ولا ميزان للحكم على الأمور كلها إلا ميزان الله الذي أنزل الكتاب والميزان

ليقوم الناس بالقسط ﴿ لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالبَيِّنَاتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ الكِتَابَ وَالمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالقِسْطِ وَأَنزَلْنَا الحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللهُ مَن يَنصُرُهُ وَرُسُلَهُ بِالغَيْبِ إِنَّ اللهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴾ [سورة الحديد : ٢٥] .

وأيًّا ما كان تقدير الناس للصحوة في أي صورة كانت أو نظرتهم إلى التطرف وتقييمهم له: فإن تغيرا وتحولا في حياة البشرية ينبيء عن طلب ما هو أفضل .

والأمم تتأثر بما ترى وتسمع ، في عالم لم تعد فيه حدود أو سدود وليس عالمنا الإسلامي بمنأى عن ذلك . وهو خاضع لسنن الله كغيره في مداولة الأيام بين الناس وانتقالها بينهم في مد وجزر وقوة وضعف وصعود وهبوط .

وسيدرك الناس جميعا – وهم ينشدون ما هو أفضل – أن وثبات المدنية لا تستغني عن ثبات الحق . وأن حياتهم لا تستقيم ولا يُرجى لها أمن وسلام إلا بقيام ثابت في متغير وتلك آية الله في الحياة فما لا تستقيم الحياة إلا به قد ضمن الله مكثه وبقاءه ﴿ وَأَمَّا مَا يَنفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الأَرْضِ ﴾ [سورة الرعد : ١٧] .

ومهما بعدت الإنسانية عن الثابت من القيم والفضائل والأخلاق المستمدة من معرفة الله وخشيته ، فإنها ستعود راضية أو راغمة لأن سنن الله ماضية قاضية لا تتبدل ولا تتحول ﴿ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُوا فِي الأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ المُكَذِّبِينَ ۝ هَذَا بَيَانٌ لِّلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ ۝ وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنتُمُ الأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾ [سورة آل عمران : ١٣٧ – ١٣٩] .

ولابد من الوجود الإسلامي الذي يتسق بحقائق دينه مع أسباب عصره فيتخذ من الأسباب نصرًا للحق . ومن الحق دافعا للأخذ بالأسباب دون تواكل أو انهزام أو تقصير .

وهذا ما توحي به الصحوة مهما اختلف تقدير الناس لها . لأنها صحوة لا تخص ديار المسلمين وحدهم ، بل تعم البشرية كلها والأزمات الطاحنة تحيط بها

في صور وأشكال متعددة ، وعوامل الفساد والدمار تتفاقم في حياتها وهي تتنادى بصورة علنية وعالمية للتعاون على درء الخَطَر ومحاصرته ومعاقبة الساعين في الفساد والداعين إليه والمروجين له .

فالصحوة في مضمونها على المستوى العالمي تنشد صلاحًا وإصلاحًا ، وتطلب وقايةً ونجاةً لا في ديار المسلمين وحدهم بل في العالم كله .

ولسانُ حالها ينشد دين الحق علاجًا لواقع وإصلاحا لفاسد ووقاية ونجاة من خطر محدق ودمار محقق ، يهدد حياتها بفقدان المناعة وسموم المخدرات ، ولا سبيل للإنقاذ إلا باستقامة النفس وطهرها وبعدها عن فاحشة الخنا ورجس الهوى .

إن هذا التنادي العالمي ينشد في فطرته الدين العالمي لكي يقوم بدوره في الإصلاح والإنقاذ في جد وإخلاص وصدق تعاون .

إن عالمنا المعاصر في وثبته في أبعاد الكون ينشد من يهديه إلى الحق في إيمانه بخالق الكون لكي يحسن كيف يتعايش على الأرض فلا يدمر ما يعمر ولا يسوق الفناء إلى ما شيد من بناء وليست الهداية إلى الحق والاستجابة له لانتصار أُمة على أُمة أو لإعلاء جنس على جنس ، وإنما هو انتصار للإنسانية كلها بانتصار الفضائل على الرذائل وإدراك العواقب دون أسر بالرغائب . وهذا ما تعلنه الإنسانية في مؤتمراتها وتكتبه في وثائقها .

ولكنها لا تُهْدي إليه في واقعها ، لأنها لا تُهدي إلا بإخضاع هواها لخالقها وإيمانها به إيمانا يحقق الخشية ويشيع الرحمة وينشئ العفاف ويقرب الإيثار ويُبعد الأثرة ، ويرد أقوات الجياع من بطون المدافع ويجعل التنافس على المكارم لا على المغانم ، والتفاضل بالأخلاق التي تُؤْثِر الخير وتأبى الشر .

ويُرجى للصحوة الإنسانية العالمية – التي جاءت بعد تجارب شاقة ومريرة – يُرجى لها أن تُهدى لفطرتها وأن تصغي لنداء ربها – رب العالمين – وأن تستجيب له لتحفظ حياتها وتنال هداية الله ورحمته .

﴿ قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ فَآمِنُوا بِاللهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللهِ وَكَلِمَاتِهِ وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴾ [سورة الأعراف : ١٥٨] .

﴿ رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنتَ الْوَهَّابُ ﴾ [سورة آل عمران : ٨] .

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين .

محمد الراوي

١ صفر ١٤١٠ هـ

١ سبتمبر ١٩٨٩ م

openeikandil.com

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

« الدعوة الإسلامية دعوة عالمية »

الطبعة الثانية

في يوم الجمعة التاسع من ذي الحجة عام ألف وثلاثمائة وتسعين من هجرة سيد المرسلين ﷺ اتجه موكب الحجيج إلى عرفات . وقد شاء الله أن نكون ممن أذن لهم في الحج هذا العام . وعلى عرفات مضى الفكر سابحا مسبّحا ، وكنت على عزم أن أُعيد طبع هذا الكتاب ووجدتني أذكر ذلك – مع تدافع الخواطر – عندما اقترب منزلي من جبل الرحمة ، فلتكن مقدمة الكتاب من هنا من جبل الرحمة حيث وقف نبي الرحمة يخاطب الناس بكلمات يشع نورها في القلوب والضمائر : « أيها الناس إن ربكم واحد ، وإن أباكم واحد ، كلكم لآدم وآدم من تراب ، إن أكرمكم عند الله أتقاكم » .

* * *

مكان بعيد كل البعد عن زيف الحياة وزينتها ، قريب كل القرب من حقيقة الحياة وسماحة الفطرة ، وزمان محدد يأتي الناس فيه من كل فج عميق مستجيبين

لنداء الله متجردين من كل رداء إلا من لباس مذكر ومنبه بيوم لا ريب فيه . تتباين الأوطان وتختلف الألسنة والألوان ولكن القلوب تلتقي على غاية واحدة غاية بارة بالإنسانية جميعًا « لبيك اللهم لبيك ، لبيك لا شريك لك لبيك إن الحمد والنعمة لك والملك لا شريك لك » .

إنه الحج .
إنه القصد .
إنه السبيل ولا سبيل غيره .
سبيل معرفة الإنسان لأخيه الإنسان وتقديره حقه وحرمته .
إن ربكم واحد .
وإن أباكم واحد .

* * *

لقد طال ليل الإنسانية وهي تتلظى بنار الفرقة والتنابز وتتنكر لصلة الأرحام ، وغدا كل شيء في دنيا الناس أغلى من الإنسان .

فلا تمضي في بقعة من الأرض إلا وتراه موزعا ضائعا مسلوب الحرية مهدور الكرامة وأصبح الناس جميعا وقودا لحرب فاجرة لا يهدأ سعارها ولا تنطفيء نارها . عند النظرة العابرة يبدو أن الحرب الفاجرة تقع في بقعة من الأرض دون أخرى ولكن عند النظرة الفاحصة تراها لا تدع مكانا إلا وتمتد إليه في صورة من صور الفقر والذل أو الخنا والفحش أو صورة الإساءة المتعمدة لكرامة الإنسان وإذلاله بشتى ألوان الذل وأسباب الهوان . ناهيك عن سلب حقوق أمم على مرأى ومسمع من منظمات عالمية أقيمت بدعوى الحفاظ على حقوق الإنسان .

أتلك هي الأرض التي خلقت من أجل الإنسان ؟

نعم لكنه في عصرنا هذا أزهد وأرخص شيء فيها ، إنه سلعة في حرب ، ووقود في نار حقد ، وأسير في سجون الطغاة حيث وجدوا . أنه فقير لا عُن فقر ، متهم من

غير تحقيق ، محكوم عليه من غير ذنب ، وقد شملت حرب عصرنا المرأة والرضيع والشيخ الفاني فسلبت الرضيع رضعته ، وحرمت المحتاج لقمته ، أخذت من الزغب الجياع عائلهم ، وقتلت من بين الناس شريفهم .

حرب أعلت من قيمة كل خائن سارق وفتكت بكل أمين شريف .

حرب رأينا فيها الجبان قائدا والخائن أمينا والعيّ فصيحا وأبصرنا الغالي رخيصا والرخيص غاليا . أخذ كل شيء فيها اسما غير اسمه ولبس ثوبا غير ثوبه : أخذ الكذب اسم الصدق ولبس الباطل ثوب الحق وأُحيطت الهزائم بأقواس النصر ، وكان على الناس إما أن يعرفوا القسمة العادلة على طريقة الثعلب عندما رأى رأس الذئب تُقطع أمامه وإما أن يعرّضوا أنفسهم لجزاء من يصر على أن يسمي الأشياء باسمها الحقيقي . وكانت قسمة الثعلب بين يدي سيد الغابة عندما سيق إليه كبش وأرنب وحمامة وكان في مجلس سيد الغابة ذئبها وثعلبها عندما طلب من الذئب أن يقسم الغنيمة فقال الذئب وقد نسي أنه يحيا في قانون الغابة : أنت سيدنا ورئيسنا ولك النصيب الأوفر ، أنت تأكل الكبش وأنا آخذ الأرنب والثعلب يتناول الحمامة .. فما كان من سيد الغابة إلا أن أطاح برأسه أمام الثعلب ، ثم قال للثعلب : تولّ القسمة . فقال الثعلب على الفور : لك يا سيدي كل شيء : لك الكبش تطعمه والأرنب بعده تأكله والحمامة لختام الطعام وتنظيف الأسنان . فسرّ سيد الغابة وقال للثعلب : من علمك القسمة العادلة ؟

فقال : يا سيدي رأس الذئب التي أسقطت أمامي !

وقد أبت حرب عصرنا الفاجرة إلّا أن تعلّم كثيرًا من الناس القسمة العادلة وأن تخضع لهذه القسمة كل شيء من حقوق الناس ودمائهم وأموالهم .

وعلى الناس أن يعلموا على الرغم منهم أن عصرنا كله على موعد مع القسمة العادلة . وفي ظل هذه القسمة العادلة ضاعت أمم وقتلت شعوب وانتهكت محارم وديست مقدسات .. وفي كل حال هي القسمة العادلة التي لا يقبل سيد الغابة

غيرها ولا يرضى من أي منصف قسمة سواها .

* * *

هذا حال الإنسانية في عصرنا هذا .. وهي حال تثير الأسى والحزن وتدعو إلى الرحمة في جميع صورها والراحمون يرحمهم الرحمن .

« ارحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء » .

نعم إن الإنسانية دائما في حاجة إلى الرحمة ولكن حاجتها في زماننا هذا أشد لكي ترفع عن الإنسان في كل مكان آلام الذل وأسباب الهوان وتحرره من قيود العبودية لغير خالقه وتخضعه لقانون العدل الذي يجعل الرحمة للعامة .

ونحن نوقن يقينا لاشك فيه أن سبيل الرحمة في الأرض منوط بقصد الناس وسلوكهم واختيارهم لأنفسهم ، وأنه لا رحمة حين يبعد القصد عن الرحمن ولا تراحم حين تدار شئون الناس بغير اسم الله الرحمن الرحيم .

* * *

إن محمدا ﷺ قد بعثه الله رحمة للعالمين .

فهو بسيرته أسوة الخلق جميعا . والقرآن الذي نزل عليه هو كتاب الدهر كله ماضيه وحاضره ومستقبله : ماضيه بما حمل في قصصه من عبر وعظات وما ضمت صفحاته من رسالات الرسل جميعا في آيات بينات ، وحاضره المتجدد بما ينشده للإنسان من صلاح الدنيا والآخرة وهو يقف من الزمن كله موقف الأستاذ المعلم للأجيال كلها لا تحصره جزئية علمية ولا تحدده نظرية خاصة لأنه يضع الأصول العامة ويترك التفصيلات والجزئيات للزمن المتجدد والفكر المتأمل والأجيال المتعاقبة . ولذا فإن العلوم التجريبية وهي تمضي في مدار التجربة والملاحظة وتمتد في باب الكشف والتعرف على أسرار الكون ، تجد نفسها في ساحة القرآن الكريم تدين له بالفضل طوعا وكرها ، وقد أخرج العقل من ظلام الوهم وحيرة الشك إلى نور العلم

وطمأنينة اليقين وانطلق به يطلب الإيمان بالله من التأمل في ميدان فسيح لا تحد حدوده ولا تعرف نهايته ، فتأتي الأجيال الصاعدة وهي تتآخى إخاء بر ورحمة ، إخاء علم ومعرفة وما أجل إخاء العلم وما أبر اللقاء عليه .

وترى الموكب الطهور ينتظم في القرآن الكريم ويتلاحق متلاحمًا في فطرة كقطرات الماء الزاخرة في البحر الطهور .. ترى آدم ونوحا وإبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط ترى عيسى وأيوب ويوسف وموسى وهارون ترى الرسل جميعا في إخوة بارة يأخذون من مشكاة واحدة ويمضون في طريق واحد ويأتي خاتمهم ﷺ منصفا لهم جميعا جاعلا الإيمان بهم شرطا في الإيمان برسالته دون تفرقة ﴿ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِ ﴾ [سورة البقرة : ٢٨٥] .

* * *

فانظر إلى الرحمة الشاملة التي آخت بين بني الإنسان معلنة في وضوح لا خفاء فيه أن الأصل واحد والرب واحد والرسالة واحدة والمصير مشترك لا فضل لنسب على نسب ولا تفاخر لشعب على شعب ولا تفرقة في دين الله بين رسول ورسول ولا مجاملة بين يدي الله في الحساب والجزاء . فمحمد ﷺ سيد المرسلين ، وعمه أبو لهب يهبط به عمله إلى أسفل سافلين ولا تنفعه قرابة للرسول لا تنكر . والرسول ﷺ يقول لفلذة كبده فاطمة رضي الله عنها : « يا فاطمة بنت محمد اعملي لا أغني عنك من الله شيئًا » . عظمة لهذا الدين لا تدانيها عظمة وهو يجعل كل إنسان مسئولا عن عمله مجزيًا به ﴿ لَّا يَجْزِي وَالِدٌ عَن وَلَدِهِ وَلَا مَوْلُودٌ هُوَ جَازٍ عَن وَالِدِهِ شَيْئًا ﴾ [سورة لقمان : ٣٣] .

إن الميزان بين الخلق جميعا دقيق وأن الله رب العالمين لا يظلم مثقال ذرة ﴿ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ۝ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ ﴾ [سورة الزلزلة : ٧ ، ٨] .

ولذا فإننا حين نصدق أنفسنا ونصدق الناس وندعوهم إلى الدعوة الإسلامية

إنما نفعل ذلك عن اقتناع مبصر واع ومعرفة راشدة لا تقنع بغير البرهان والدليل . إننا نرى في كل مذهب بشري قصورًا واضحًا في المساواة بين العباد جميعا وحسبها أن تكون مذاهب بشرية فيها من طبيعة البشر ضعف ونقص وتبدل ولا يمكن أن تبرأ من الميل والهوى . من ذا الذي يستطيع من العباد أن يكون سليم المزاج على كل حال غنيًّا غير محتاج يقظًا غير نائم شبعًا غير جائع حيًّا لا يموت عالمًا بشئون الخلق لا تخفى عليه خافية محيطًا بكل شيء لا يضل ولا ينسى ؟ لا يمكن أن يكون في عباد الله من هو كذلك . فلا يمكن أن يكون منهم من يشرع لهم جميعا شرعا يضمن إخاءهم جميعا هذا من الناحية التشريعية أما من الناحية التطبيقية فيمكن أن يَرِدَ سؤال له خطره وهو :

إن أهواء الناس يمكن أن تميل بالحق وأن تعبث به وأن تفسر قانون الحق تفسيرا يتفق مع مآربهم وشهواتهم تفعل ذلك حتى مع شرع الله نفسه . إذن فليست المسألة مسألة قانون أو تشريع بقدر ما هي مسألة نفوس وقلوب ، فإذا وجدت النفوس الصالحة أمكنها أن تكمل التشريع الناقص وإذا فسدت فلا جدوى من التشريع الكامل . أليس هذا واقع مشاهد ؟

نعم هذا تساؤل يصدقه الواقع ولكننا نقول : من أجل ذلك كانت الدعوة الإسلامية دعوة عالمية ، لأنها دعوة موجهة إلى النفس البشرية في أي زمان ومكان لصياغتها صياغة خاصة تمكنها من أن تحيا بقلب وضمير ، وذاك هو الضمان لرعاية شريعة الحق وقيامها بين الناس ، ومذاهب البشر قاطبة تعجز أن تصوغ إنسانا على الصورة التي تحققها كلمة الله ووحي الله . هذا من الناحية التطبيقية وأعني بها إيجاد الإنسان المنفذ والمطبق لشريعة البر والرحمة .

إن الدعوة الإسلامية بعيدة كل البعد عن أن تكون مجرد نظريات يطمئن إليها كل متأمل منصف وإنما هي حياة تقوم في قلب الإنسان وضميره وترتبط بها أعماله

وسلوكه ﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ ﴾ [سورة ق : ٣٧] .

﴿ وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا ﴾ [سورة الشورى : ٥٢] .

إن رسالة الله قادرة على تحقيق العدل والرحمة في ذات الإنسان أولًا وإذا تفجرت ينابيع الرحمة في قلب الإنسان أمكن تحقيقها في الخارج بصورة إنسانية بعيدة عن المن والأذى . ومذاهب البشر إن أرادت ذلك عجزت عنه لأنه أمر مرتبط بالروح و﴿ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي ﴾ [سورة الإسراء : ٨٥] متصل بمن له الخلق والأمر ويعلم السر والعلن ﴿ قُلْ أَنزَلَهُ الَّذِي يَعْلَمُ السِّرَّ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴾ [سورة الفرقان : ٦] .

وشتان ما بين صورة الشجرة المصنوعة التي لا تلبث أن تكشف الشمس عن زورها وتلقي بطلائها وتظهر الباطن على حقيقته جافا ميتا ليس بينه وبين الحياة سبب وبين الشجرة ذات الأصل الثابت والفروع الممتدة النامية التي تؤتي أكلها كل حين بإذن ربها شتان ما بين تكلف الصنعة وعمل الفطرة وإن تشابه الشكل وتشاكل اللون فما بينهما من فوت كما بين الحياة والموت .

إن الخضرة الزائفة قد يخدعك مظهرها ثم يفجؤك مخبرها فتدرك أنها ثوب رياء ليس وراءها ثمر يرجى أو خير يُنتظر .

إن الدعوة الإسلامية رحمة شاملة بالإنسانية جميعا لأنها من عند الله الذي وسعت رحمته كل شيء فهي لا تنسب لفريق دون فريق ولا تحابي منتسبا إليها أو تجافي بعيدا عنها بل هي ميزان عدل بين الناس جميعًا .

فالمسلمون إن انتسبوا إليها اسما كانت عليهم لا لهم فإذا جاء أقوام صدقوا في حملها وأخذوا أنفسهم بها فهي لهم . العمل الصالح هو طريقها وعلى الصدق وحده يكون الجزاء « ليس الإيمان بالتمني ولكن ما وقر في القلب وصدّقه العمل » .

إنه دين الحياة يحيا به الإنسان منفعلا بأسباب الرحمة متفاضلا بخُلق التراحم . ولا يحتج على هذه الرسالة بحال المسلمين اليوم فإننا قد قررنا صادقين في صفحات هذا الكتاب أن المسلمين في عصرنا هذا لم يحملوا الإسلام بل حُمِلُوا عليه .

هذه الحقيقة نكررها مرارا لننصف الإسلام أولا وآخرا لأنه ليس ملكا لأمة دون أمة ولا لشعب دون شعب وليس وقفا على المسلمين وهم ينصرفون عنه ويتلاعبون به . إنه ينكر عليهم ما ينكره على غيرهم بأسلوب موضوعي بعيد عن التميّع والمجاملة إنه ليس ضيعة تُشترَى أو دولة تُغتصَب . إنه هداية الخالق للمخلوق وصلة السماء بالأرض فهو موجه للإنسانية عامة رحمة من الله رب العالمين . فلا يروعنّ أي باحث منصف أن يرى واقعا مؤلما منفرا ممّن يزعمون الانتساب إلى الإسلام فإن الإسلام بريء من كل عمل ينافيه وسلوك لا يتفق معه . إنه كائن حي لا يقبل التجزئة والذين تخدعهم أنفسهم فيظنون – وهم يأخذون أنفسهم بجزء من تعاليمه – أنهم أخذوا أنفسهم بالإسلام مثلهم كمثل من فصل ذراعا عن جسد وطلب منه أن يتحرك ويعمل ولكن هيهات .. إن الجزء المنفصل لابد أن تبطل وظيفته وتنعدم منفعته .

إن المسلمين إذا لم توقظهم الكوارث الواقعة بهم وإذا لم يأخذوا أنفسهم في عزم لا يعرف التردد وقوة لا تعرف الضعف بهذا الدين الذي كان لهم به ومعه ماض وتاريخ فليعلموا أن دين الله باق وهم ذاهبون وإن يتولوا يستبدل الله قوما غيرهم ، وهم في بعدهم عن الإسلام هم الخاسرون .

إن محنة الساعة التي تواجههم والتي سلبتهم أرضهم ومقدساتهم يجب أن تقال فيها كلمة حق لا تعرف المجاملة صريحة لا تعرف المداراة .

هل هذا الواقع المرير الذي لم ير في تاريخهم مثله يرجع سببه إلى نقص في الأسباب المادية سواء من ناحية السلاح أو المال أو الرجال ؟

الجواب عن ذلك بداهة : لا .

إن أي مقارنة بينهم وبين عدوهم في كل ذلك تثير الهزء والسخرية بناهيك عن رقعة الأرض الواسعة جدا والتي تمنحهم خيرها بسخاء .

إن الهزيمة المنكرة لها أسباب وأسباب يدركها ويحس بها كل مخلص أمين غيور على مقدسات أرضه وحرمات وطنه . وأرجو الله ألا نكون ممن قال الرسول ﷺ فيهم : « لا يدخل الجنة ديوث . قالوا : وما الديوث يا رسول الله ؟ قال : الذي يرى المعرة في أهل بيته ولا يغار » .

يتنوع الحديث في ذكر الأسباب وتكثر التعليلات من هنا وهناك ولست أرى من سبب قط غير التنكر لدين الله ومجافاته وكل سبب من الأسباب في أي صورة من الصور يعود إليه وينتهي عنده :

أولا : إننا منذ زمن بعيد نتحدث عن المؤامرات التي يحيكها أعداؤنا وجاء واقعنا معينا لتحكم هذا المؤامرات سواء بقصد منا أو بغير قصد . فتفريق الكلمة مقصد أساسي لعدونا يستطيع به أن يسود متى أراد .

فماذا فعلنا لجمع الكلمة وتحقيق الأخوة والمودة ؟

إننا حققنا بأنفسنا مع أنفسنا ما لم يستطع أعدى الأعداء أن يحققه بيننا ! ففي ضراوة لا تعرف الرحمة ولا ترعى للأخوة حرمة سب بعضنا بعضا ولعن بعضنا بعضا وضرب بعضنا وجوه بعض وسفك بعضنا دم بعض .. فعاونا بذلك على فتح ثغرة من أقوى الثغرات لسيف العدو فينا ولم نستطع ملافاة ذلك حتى بعد ضياع أرضنا وسلب مقدساتنا . فإننا قد رأينا أن السلاح الذي حملناه لندافع به عن أعراضنا ونمسح به عارنا ونرد به أرض آبائنا وأجدادنا ، رأيناه يشرع في وجوه بعضنا بصورة أعنف وأشد مما يقع مع سالبي الأرض وسارقي الحقوق ومنتهكي المقدسات !!

فما هو السبيل لجمع الكلمة ؟

أيوجد سبيل غير سبيل الله الذي ارتضاه لنا ؟

﴿ وَٱعْتَصِمُوا بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا ﴾ [سورة آل عمران : ١٠٣] .

﴿ وَلَا تَكُونُوا كَٱلَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَٱخْتَلَفُوا مِن بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ ٱلْبَيِّنَاتُ وَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾ [سورة آل عمران : ١٠٥] . ونحن في العذاب واقعون وقد حاقت بنا لعنة الفرقة واختلاف الكلمة

ثانيا : نقرأ في القرآن الكريم : ﴿ وَمَا ٱلنَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ﴾ [سورة آل عمران : ١٢٦] ، ﴿ إِن تَنصُرُوا ٱللَّهَ يَنصُرْكُمْ ﴾ [سورة محمد : ٧] . فماذا كان موقفنا من الله حتى نطلب نصره ونرجو تأييده : لقد بلغت الجرأة بالبعض منا أن كتب : ثلاثة أشياء يجب أن تدخل المتحف (الله ، والاستعمار ، والرجعية) فدخل هو وأمته متحف الهزيمة النتنة في غمضة عين . وبلغ بالبعض ممن عدوّهم شعراء – في زمن وئد فيه الشعر الشريف والأدب النظيف – أن كتب في إحدى المجلات : رأيت وجه الله في قارعة الطريق يبصق في وجهه الشرطي واللوطي والقواد ، فجاءت الهزيمة ببصقات اللعنة عليه وعلى كل من رضي قوله .

ورأينا حتى بعد الهزيمة وزير خارجية دولة شعبها مسلم في مؤتمر الدار البيضاء وهو يزعم أن له أنفا يشم بها ، رأيناه يقول في بجاحة غريبة : « إنني أشم رائحة الحلف الإسلامي ونحن عندنا قد رفضنا الحلف الإسلامي والدستور الإسلامي » . فليرفض الحلف إن شاء معتمدا على وجهة نظره في الناس ولكن ما معنى رفض الدستور الإسلامي وهو من عند الله ؟ معناه : ردة وكفر . في الوقت الذي وقف فيه الولد الذي أحرق بيت المقدس – على مرأى ومسمع من العالم كله – يقول : إن الرب أمرني أن أحرق هذا البيت . أهذا كلام مجنون كما أرادوا أن يصوروه أم إننا نحن المجانين الذين لا ندري ولا نعي ما نقول . وقائمة مواقفنا من الخالق جل وعلا طويلة ومريرة ومؤسفة ومؤدية إلى الإبادة لولا أن الله بنا رؤوف رحيم .

إن أبناءنا وفلذات أكبادنا يقفون أمام العدو السالب الغاصب وهم يعملون بكل إصرار على أن يردوا عن أنفسهم وأمتهم وصمة عار . فهل عندنا من دوافع لإعلاء الروح المعنوية التي هي الأساس في تحقيق النصر لأي جيش محارب هل عندنا غير الإيمان بالله عز وجل ؟

ما الذي يمكن أن تمني به مقاتلا يعرض حياته للموت ؟ لا شيء أبدا إلا الإيمان بالله الذي اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن له الجنة . إذن فقضية الإيمان وتثبيته في النفوس ورعاية الدولة له ليس الأمر الكمالي الذي يمكن أخذه وتركه بل هو بالنسبة لنا قضية حياة ومصير قضية سلمنا وحربنا .

وإذا نحن أهملنا قضية الإيمان بالله بمعناها الحقيقي في جهادنا مع الذين يوقدون دائما نار الحرب ويسعون في الأرض فسادا ، إذا نحن أهملنا حسن الصلة بالله في أعمالنا وأقوالنا فهل ننتظر النصر منه ؟ إننا نسينا الله فأنسانا أنفسنا .

وإذا نسي الله من يعرفه سلط الله عليه من لا يعرفه .

ثالثا : قضية الحرية – وهي قضية تتصل بالإنسان وكرامته بل تتصل بحقيقة الإيمان بالله الواحد الأحد الذي لا شريك له والذي يستحق العبادة وحده دون سواه – هذه القضية ماذا فعلنا بها ؟ تركناها للتقدير الشخصي دون ضابط من قانون يؤمن المواطن على حياته وماله وأسرته . فالسحل والقتل والسجن والتشهير والمصادرة وإلقاء التهم جزافا كل ذلك حدث ببشاعة نادرة ، وإسكات الصوت المعارض واتهامه دائما بالخيانة شل إرادة الأمة كلها في جميع مرافقها . إن الوطن تعلو قيمته برؤوس مرفوعة لا بهامات منكسة ، والإنسان الذليل لا يمكن أن يحقق عزًّا لأمته . وقديمًا قيل لعنترة وقد أهينت قبيلته وديست كرامتها : قم يا عنترة لتدافع عن شرف قبيلتك . فقال قولته المشهورة : « العبد لا يحسن الكر ولكن يحسن الحلاب والصر » فقيل له : كر وأنت حر ! وعندما شعر بحق الحياة قام يرد في بسالة وقوة عار الهزيمة عن قبيلته .

عندما تختفي الحرية الحقيقية يصبح النفاق والمداراة بضاعة رائجة وترى الناس

تحسبهم ناسًا وهم خُشُب مُسندة . والإيمان لا يُؤدِّي ثمرته إلا في جو من الحرية . ومن هنا ترى الحق جل وعلا وهو خالق كل شيء لم يرغم الناس على الإيمان به بل عرض عليهم قضية الإيمان وترك لهم الخيار دون إكراه أو إجبار لأن إيمان المكره باطل وكفره باطل أيضًا . ومن حكمة الحياة اختلاف الآراء وهي حين تصاغ في إطار القانون البيّن الواضح تكون دائمًا عامل تشييد وبناء لا وسيلة هدم وتخريب .

قد يقال إن الأمم في فترات التحول تحتاج إلى ذلك . والحق أن هذا المنزلق خطر جدًّا على حياة كل أمة تسلكه ، فلم يعرف التاريخ تحولا قط كان أعظم ولا أخطر من التحول الإسلامي الذي جاء على أثر فساد عارم في الأرض ، ومع ذلك كان الصوت المعارض مسموعًا من الكبير والصغير والرجل والمرأة لأن الكل شريك في حمل الأمانة وتحمل التبعة . ففترات التحول هي أحوج الفترات إلى شعور كل فرد بمسئوليته . وشعور أي إنسان بمسئوليته متوقف على شعوره بكرامته وحريته ومشاركته الحقيقية لا المصطنعة في شئون أمته . وضمان الحرية الوحيد هو القانون الذي يكون الجميع أمامه سواء والذي يتأتى معه شعور الناس بالأمن والاستقرار وبيان المشروع وغير المشروع من الأعمال . ولكن الحرية – دون أدنى مكابرة – خضعت للتقدير الشخصي لا للقانون .. وحين واجهنا عدونا واجهناه بإرادة مقيدة وحرية مفتقدة وقد شلِ القيد حركة المحارب الذي لم يعرف على مر التاريخ إلا بنجدته وبسالته ! وأغرب من هذا أن مرتع الشهوات والمباذل والأهواء على شتى صورها كان حرًّا يرتع فيه من يرتع وقد وقع فيه ناس كانوا على مستوى المسئوليات .. فلما جاءت ساعة الصفر اتضح للناس أنهم كانوا بمسئولياتهم صرعى شهوات مدمرة وجاسوسية سلبت بوسائلها كل ما اؤتمنوا عليه ووقف هؤلاء يشدون شعورهم عندما رأوا أن العدو لا يجهل أي شيء في يدهم وهو على علم بأدق أسرارهم .. ومن هنا كان مرتع الشهوات الحر سبيلا لاستبعاد أمم وتحطيم شعوب . وبديهي أن من يصرع أمام شهوة لا يمكن أن يثبت أمام عدو . ولا أدري كيف استطاع العدو وأساليبه غير خافية على

أحد أن يمهد لهزيمة منكرة في جبهات متعددة في لحظة واحدة مهما كان نوع السلاح الذي في يده ؟ لكن خططه وأساليبه لم تكن موجهة إلى سلب الأرض أولا ، وإنما كانت موجهة إلى سلب النفوس قبل سلب الأرض وتحطيم القيم والأخلاق قبل تحطيم السلاح والعتاد ، وإغراء الأخ بأخيه أن يقتله قبل أن يقتلهما معا ، وامتداد القيد إلى الفكر والسلوك قبل القيد الحديدي الذي أمسك بجبهات متعددة في لحظة واحدة . إن نتيجة أي حرب تعلن دائمًا عن صلاح الحال أو فساده . ورحم الله آباء لنا كانوا يبحثون عن سر الهزيمة الطارئة في أنفسهم قبل أن يتأملوها في سلاح عدوهم ، ورضي الله عن عمر إذ يقول : « إن ذنوب الجيش أخوف عليهم من عدوهم » .

إن الميدان ليس ميدان المحارب وحده وإنما هو ميدان القلم الشريف الذي تعلو به الهمم وتصان به القيم، ميدان العلاقات الاجتماعية أن تقوم على الطهر في إقرار المعروف وإنكار المنكر ميدان نظافة الشارع من التحطيم لمقومات الرجولة والاعتداء على عفة الشباب ميدان المسرح والسينما والإذاعة والتليفزيون ، ميدان المصنع والحقل والمكتب والمدرسة ميدان الحكومة الخادمة العادلة لا المستعلية الجائرة . والمحارب في الميدان هو نتاج ذلك كله ، ونظلمه متى نطلبه على صورة غير صورة مجتمعه الذي منه خرج وإليه ينتسب . والعدو يحاربنا في هذه الجبهات كلها بضراوة أعنف من ضراوة ميدان المحارب ، يحاربنا بناس منا يبدون غيرتهم على المُقدرات بأسلوب البغايا والمومسات ، وإذا نافق بعضنا بعضًا على حساب أمة مشحونة الجراح فإننا بذلك نكون قد سلمناها لعدونا واستوجبنا بذلك لعنة الله وحكم التاريخ . أما إذا ملكنا من شرف النفس ومن حسن العزيمة والقصد ما نستطيع به أن نحفظ للكلمة شرفها وللإيمان سيطرته على النفوس ، فإننا نكون قد بدأنا نسلك السبيل المؤدي حتمًا إلى إبطال عمل العدو فينا .

إن المحارب الذي أنكر ذاته وفني في تحقيق نصر لأمته : كان من ورائه مجتمع طهور يحيا في محراب الله ويرفع الأكف العاملة الناهضة بالتضرع والدعاء . إن المجاهد الذي رأى الحياة طويلة إن هو بقي يأكل تمرات في يده : كان من ورائه أمة

تنشد كلها الحياة الباقية ولا يفضل من ذهب منها من بقي إلا بفضل الشهادة . إن الإخوة الأربعة الذين استشهدوا في معركة واحدة : كان من ورائهم أم تقول : « الحمد لله الذي شرفني بجهادهم واستشهادهم جميعًا » . إن الأولاد الذين خرجوا كلهم في معركة واحدة كان من ورائهم أب لم يرض أن يقعد – ولا عليه حرج – وأبى إلا أن يطأ الجنة بعرجته . إن خالدًا وأبا عبيدة كان من ورائهما أبو بكر وعمر . وإن النصر الذي تم : كان من ورائه خير أمة أُخرجت للناس تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر وتؤمن بالله . إن الطهر والبسالة والأمانة في الميدان : كان من ورائها مجتمع تأدب بأدب الله وتخلّق بخلق رسول الله ﷺ .

إن النور من ورائه سراج والنصر من ورائه أسباب ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَنصُرُوا اللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ ﴾ [سورة محمد : ٧] .

إن لكل شيء سببا والخير والشر والهزيمة والنصر مرجعها إلى النفس أولا ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ ﴾ [سورة الرعد : ١١] . ﴿ إِن يَعْلَمِ اللَّهُ فِي قُلُوبِكُمْ خَيْرًا يُؤْتِكُمْ خَيْرًا مِّمَّا أُخِذَ مِنكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ [سورة الأنفال : ٧٠] ، ﴿ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَابَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا ﴾ [سورة الفتح : ١٨] .

إن التقصير في الأخذ بكافة الأسباب وترك المعصية تنفذ من كل باب يقابلهما ثمن لابد أن يُدْفَعَ ، ولا مجاملة في سنن الله ولا محاباة في دين الله ﴿ لَّيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ وَلَا أَمَانِيِّ أَهْلِ الْكِتَابِ مَن يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ وَلَا يَجِدْ لَهُ مِن دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴾ [سورة النساء : ١٢٣] . والمسلمون وبينهم رسول الله ﷺ في أُحد حينما وقعت منهم مخالفة تبعتها جولة للعدو تيقظوا على الفور وثبتوا حول رسول الله ﷺ وتابعوا العدو مطرودًا لم يحرز في جولته أسيرًا ولا غنيمة . وقد ذكّرهم الوحي أن ما حدث كان من أنفسهم لا من قوة عدوّهم ﴿ قُلْتُمْ أَنَّىٰ هَٰذَا قُلْ هُوَ مِنْ عِندِ

أَنْفُسِكُمْ ﴾ [سورة آل عمران : ١٦٥] .

فهل آن لنا أن نعود إلى أنفسنا ونحدد رسالتنا بوضوح لا خفاء فيه وهي رسالة الله التي ارتضاها لنا ولن يقبل منا غيرها ؟

إننا بدافع هذه العقيدة ننشد الخير للإنسانية جمعاء ، ولا نعادي إلّا من وقف في سبيل الخير لها . وعندما يتضح مسلكنا على هذا النحو وتتميز شخصيتنا بهذا الاتجاه سنجد ناسًا كثيرين تطلعت نفوسهم زمنا طويلا أن يروا على الأرض إنسانا ، سنراهم يهشون لبقاء أمة الخير قائمة برسالتها يستجار بها كما استجير من قبل وهي لا تفرق حين تجير بين عدو وصديق وإنما تبذل الخير للناس جميعًا وأبناؤها ﴿ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا ﴾ [سورة الفتح : ٢٩] .

هل آن لنا أن نعود – بعد أن نالت منا الكوارث وفرقتنا السبل – إلى أُخوّة الإيمان وصلة الأرحام وإغاثة الملهوف ورد المظالم والحفاظ على المقدسات ؟

هل آن لنا أن ندرك – ونحن نتأمل ما في يد الغير من تفوق في العلم – أن قضية العلم عندنا مشفوعة بقضية الدين فكلما ازددنا بالدين تمسكا سمَوْنا في طريق العلم لأن الدين دائمًا يحث على المزيد ﴿ وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا ﴾ [سورة طه : ١١٤] وأي خطى للعلم بلا دين تمضي إلى انحدار بالإنسان وإن بدا أنه في رفعة وصعود . إن عاطفة الخير والبر والمودة بين الإنسان والإنسان لا يمكن أن تكون من إنتاج الماكينة في المصنع وإنما هي نتاج القلب الموصول بمصدر الخير ﴿ وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوا وَقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَى رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ * أُولَٰئِكَ يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَهُمْ لَهَا سَابِقُونَ ﴾ [سورة المؤمنون : ٦٠ ، ٦١] .

هل آن لنا أن نعود فنعيد لأمتنا خير ما تصبو إليه من عز وما ترجوه من نصر ؟ إن الإنسانية قد عانت وتعاني من السير مع مذاهب وأفكار منافية لفطرتها بعيدة كل البعد عن تقدير كرامتها ومراعاة حرمتها مذاهب لاقت معها تعاسة الدنيا

دون أن تأمن سلامة الآخرة . فغدت النفوس معها وبها صريعة يأس من دنيا ضائعة وآخرة مضيّعة . فهل آن لنا نحن أن نعود فنعيد للإنسانية الحائرة طمأنينتها ؟ إن العالم قد خسر كثيرًا بانحطاط المسلمين [١] ، ولم تكن الخسارة على المسلمين وحدهم .

فهل آن لأصحاب العزائم الراشدة والإيمان اليقظ أن يرفعوا لواء الرحمة عاليًا وأن يخلصوا النية والقصد للغفور الرحيم ؟

هل آن لهم أن يعرفوا بحق وصدق أن رسولهم ﷺ هو الرحمة المهداة وأن الله أرسله رحمة للعالمين فيسلكوا بأنفسهم وبالناس طريق الرحمة ولهم من نور نبيهم نور ومن أخلاقه وتجرده ما يؤثرون به على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة . هل آن لهم أن ينشدوا على كل حال مرضاة ربهم ويعلموا عن يقين أن الإنسانية التي تتلظى بنار الفرقة لا توحدها إلا كلمة الله ولا يبدد ظلامها إلّا نور الله ﴿ وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ ٱللَّهُ لَهُۥ نُورًا فَمَا لَهُۥ مِن نُّورٍ ﴾ [سورة النور : ٤٠] ، ولا يجمعها في ساحة الأخوة والتراحم إلّا الإخلاص والتجرد لمن له الخلق والأمر تبارك الله رب العالمين ؟

هل آن لنا أن ندرك بصدق إدراكًا يظهر أثره في السلوك والعمل أن لا شيء في الحياة يصلح أن يتقرب إليه أو يرجى الخير على يديه إلا القوي العلي القدير الغني الغفور الشكور فنبعد عن تقديرنا توزيع أنفسنا وراء أغراض تهبط بنا ومقاصد تفرقنا ؟

هل آن لنا أن نجعل من الإيمان حياة للقلوب وقيمة تصغر أمامها كل المناصب والرغائب فتقوى بذلك نفوسنا وتعز عند الله والناس ﴿ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ لِلَّذِينَ آمَنُوا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴾ [سورة الشورى : ٣٦] .

إن الطريق واضح لا التواء فيه ﴿ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ

---

(١) ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين ؟ عنوان كتاب للأستاذ أبي الحسن الندوي تجدر قراءته .

لِخَلْقِ ٱللَّهِ ﴾ [سورة الروم : ٣٠] . الطريق هو طريق الدعوة الإسلامية أن تكون أساسًا لحياتنا ومقدراتنا ليس في ديننا ما لقيصر لقيصر وما لله لله بل في ديننا : ﴿ قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ [سورة الأنعام : ١٦٣] .

فهل آن لنا أن نبصر جميع قضايانا على ضوء الدعوة الإسلامية ، وأن نعلم – ونحن نأخذ بالأسباب – أن لا شيء يحقق الخير للأمة ويشحذ همتها له مثل تبادل الرأي والمشورة . فهو فضلا عن كونه تكريمًا للإنسان ثروة للأمة التي تنعم بمواهب أبنائها وخبراتهم والإفادة بكفايتهم . وإذا استشرت إنسانًا ملكته وإذا كان شريكا في الرأي كان مدفوعًا إلى العمل بدافع الرغبة فيه .

على ضوء الدعوة الإسلامية يمكن أن يرى بعضنا بعضًا فنرى أن الفرقة كفر والسباب فسوق واللمز والتنابز ظلم .

على ضوء الدعوة الإسلامية يمكن أن نرى كل شيء على حقيقته بلا زيف أو ضلال فندرك أن الأمن ما فقد إلّا يوم أن تحطمت دعائمه من العدل والحق والإيثار والحب . والسلام ما عز إلا عندما تعطلت أسبابه من التعارف والتعاون والرحمة والبر .

وما أخال هذه الصفات تبعثها منظمات العالم ومن ورائها الأساطيل أو تحققها هيئة الأمم وتحكمها الأباطيل . كلّ يدّعي السلام ويدعو له ، والسلام حائر بين الداعين له والمتطلعين إليه ! ولقمة العيش تؤخذ من أفواه الجياع لتوضع في فوهات المدافع وخيرات الأرض تجمع لتقبر في مخازن الخراب والدمار !!

على ضوء الدعوة الإسلامية ندرك أن أي علاج لقضايا الأرض دون تقدير لأمر السماء إن هو إلّا تدمير للإنسانية وتعريضها للعواصف الهوج التي تهوي بها في واد مظلم سحيق ﴿ وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاءِ فَتَخْطَفُهُ الطَّيْرُ أَوْ تَهْوِي بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ ﴾ [سورة الحج : ٣١] .

الدعوة الإسلامية دعوة عالمية وعلى هديها تجد الإنسانية سلامها المفقود وتخرج من ظلمات الحيرة والقلق إلى نور الطمأنينة واليقين ومن فرقة السبل إلى الصراط المستقيم : ﴿ قَدْ جَاءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُّبِينٌ ۝ يَهْدِى بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾ [سورة المائدة : ١٥ ، ١٦] .

نسأل الله حسن الهداية والتوفيق ونرجوه بأسمائه الحسنى أن يرزقنا الإخلاص في السر والعلن وأن يثبت قلوبنا على محبته وألا يكلنا إلى أنفسنا ولا إلى أحد من خلقه طرفة عين .

ربنا عليك توكلنا وإليك أنبنا وإليك المصير .

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

محمد الراوي

الجمعة : ٩ ذو الحجة ١٣٩٠ هـ

٥ فبراير ١٩٧١ م

obeikandl.com

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة الطبعة الأولى

الحمد لله رب العالمين . الرحمن الرحيم . مالك يوم الدين . إياك نعبد وإياك نستعين . والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين .

أما بعد

فلقد اشتدت حاجة الإنسانية – وهي تحيا في ظلام المادة – إلى وثبة الفجر يطوي ظلامها وإلى يقظة الضمير يحفظ إنسانيتها ، كما اشتدت حاجتها إلى العدل يرعى حقوقها وإلى الحق يصون كرامتها .

ولم أر الإنسانية في عصر من عصورها باعدت ما بينها وبين أسباب السلم والأمن مثلها في هذا العصر ، فإن الحضارة المادية – وقد أيقظت في الإنسان نوازع الهوى ودوافع الشهوة – أوقفت الإنسانية على بركان من الحمم يوشك أن يقضي عليها وعلى حضارتها : تقطعت روابط الأخوة والمودة ، وتحكمت الأنانية الجشعة ، وسيطر الهوى الكذوب ، واستخف الناس بالقيم والأخلاق .

فلم يعد هناك رعاية لعهد أو تقدير لميثاق . ومن ثم لم يعد هناك أي تقدير لقيمة الإنسان وحرمته .

وإذا أنت ساءلت نفسك :

أين السلم في دنيا الإنسان ؟

بل أين الإنسان في دنيا الحضارة المادية ؟

أجابك الواقع المر : إن الإنسان ضائع بين سهر الليل وكد النهار ، شارد بعقله وراء اللقمة الشاردة والعيش المفقود ، خائف في يومه متوجس من غده .

وتسأل : أمن ضيق عيش أو نفاد زاد ؟

ويجيبك الواقع : إن الأرض ما ضاقت بأهلها ولن تضيق ، والسماء ما ضنت برزقها ولن تضن . ولكن الإنسان بأخلاقه حَوَّل النفع إلى ضر ، فاستحالت نعم الله في أيدي البشر نقمًا تشيع في الأرض الخوف والفزع وتحمل الخراب والدمار !

وإذا نحن تأملنا الضمير العالمي – وهو يعالج قضايا البشر – وجدناه لا ينظر إلى قضايا الأمم والشعوب من خلال تقديره للحق ومعرفته لكرامة الإنسان ، بل من خلال منافعه المادية التي لا تعدو أن تكون استغلالا لمقدرات الناس ، وسلبًا لحقوقهم ، ودوافع الماديين دائمًا ترتبط بمنافعهم . ولقد بدا واضحًا أن المنظمات العالمية – مع ضرورتها – لا يمكن أن تحقق للناس أمنا أو تقيم في العالم سلمًا ، ولابد من الرجوع أولا إلى الإنسان لمعرفة ما يسيطر على فكره من مذاهب ، وما يتحكم في سلوكه من دوافع ، وما يحدد سعيه من غاية .

فإن السلم في حقيقته يرتبط بصفات النفس ، والأمن في جوهره يرتكن إلى الأخلاق والقيم ، ولا يمكن أن يغني في الأمر شيء من ذخر مال أو متاع إذا لم تكن من ورائه نفس قانعة وضمير يقظ ، وكثيرًا ما يؤدي الغنى إلى الطغيان وتدفع الثروة إلى العبث والفساد .

وصدق الله العظيم : ﴿ كَلَّا إِنَّ الإِنسَانَ لَيَطْغَىٰ ۝ أَن رَّآهُ ٱسْتَغْنَىٰ ﴾

[سورة العلق : ٦ ، ٧] .

ومادام الأمن والسلام يرتبطان بصفات النفس ويتصلان بالقيم والأخلاق فقد وجب على الإنسانية أن تتأمل بنزاهة وصدق أوفى المذاهب وأقدرها على تمكين الصفات الإنسانية التي تحفل بحاضر العالم ومستقبله ولا تهمل عبرة الماضي وعظة التاريخ .

إن العدل والحق ، والبر والصدق ، والرحمة والحب ، صفات لابد منها لتحقيق الأمن الصادق والسلم البار .

إننا في حاجة إلى مذهب يكون العالم كله أمام عدله سواء ، لا يفرق بين جنس وجنس أو لون ولون ، كما لا يفرق في عدله بين عدو وصديق أو قريب وبعيد .

في حاجة إلى دعوة عالمية تحترم قيمة الإنسان وتقدر كرامته ، وتحوطه بسياج اليقين ، وتطبعه على البر والرحمة .

في حاجة إلى دعوة صادقة ، تبدد ظلام الخوف ، وتحقق أسباب السلم ، وتقيم دعائم الثقة ، دعوة تقيم العدل في ذات الإنسان بين مطالب جسده وفضائل روحه ، ليتحقق العدل في الخارج ، وتقوم عليه حراسة ذاتية من قلب الإنسان وضميره ، دعوة تبقي على الإنسان سيدًا في الأرض وخليفة لمالك الملك وأمينًا على شرائع العدل والحق ..

الإنسانية في حاجة إلى دعوة تصل الأرض بالسماء . وتأخذ بيد الإنسان إلى مدارج الكمال ، ليحيا منفعلا بحقائق الكون وأسرار الوجود .

وإننا إذ نقدم الدعوة الإسلامية على أنها الدعوة العالمية التي ارتضاها الله للعالمين نطلب من كل منصف أمين أن يتأمل هذه الدعوة في كتابها الخالد الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد ، وفي سنة الرسول الكريم الذي أرسله الله رحمة للعالمين ، وأن يبصر آثار هذ الدعوة في مجال الحياة وتجربة التاريخ .

فإن كتابها نزل ليكون نذيرًا للعالمين : ﴿ تَبَارَكَ الَّذِى نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا ﴾ [سورة الفرقان : ١] . وما كان رسولها إلّا رحمة للعالمين : ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ ﴾ [سورة الأنبياء : ١٠٧] .

وما كانت شرعتها إلّا عدلا وبرا للأولين والآخرين .

ولست أزعم حين أقدّم هذه الصحائف بين يدي هذه الدعوة الربانية الصادقة أنني أحطت تعريفًا بها أو تحديدًا لخصائصها ، وإنما أردت فقط أن أنبه إلى حسن الاتجاه إليها والأخذ بتعاليمها موقنًا أن فيها سعادة الإنسانية في الدنيا والآخرة .

أما الحديث عن الدعوة في كل جانب من جوانبها والإحاطة بذلك فهو أمر تظل جهود الإنسانية متضافرة عليه إلى يوم القيامة وتجد نفسها أمام هدى زاخر لا ينقضي عجب المتأمل فيه كما لا تنقضي عجائبه .

إن كتاب هذه الدعوة هو كتاب الدهر كله .

فليس في وسع بشر أن يحيط بشأنه وما احتواه من أسرار التنزيل .

وما الفرد في جيل إلا ذرة في فضاء !

وما الجيل في زمن إلا لبنة في بناء .

وما الزمن إلا مقدمة محدودة لعالم البقاء .

فكيف الإحاطة وعقول البشر جميعًا تلتقي عليها فتجد نفسها مع الكون جميعه ومع الدهر جميعه : « فيه نبأ من قبلكم ، وخبر ما بعدكم ، وحكم ما بينكم » .

هذا جهد فرد في جيل .

فإن كنت قد وفقت في حسن الإشارة إلى هذه الدعوة فالفضل لله العلي الكبير ، وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب .

﴿ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِن نَّسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْرًا كَمَا

حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ وَاعْفُ عَنَّا وَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا أَنتَ مَوْلَانَا فَانصُرْنَا عَلَى القَوْمِ الكَافِرِينَ ﴾ [سورة البقرة : ٢٨٦] .

والحمد لله رب العالمين .

القاهرة في : ١٥ شعبان عام ١٣٨١ هـ
٢١ يناير سنة ١٩٦٢ م

محمد الراوي

obeikandl.com